

لم يستطع محمد ابن الثلاثة عشر ربيعاً أن يكتفم غيظه و غضبه ويخفي دمعته من الحالة المأساوية التي وصل لها حال التعليم في مدرسته التي تتوسط أحياء مدينة القدس المحتلة.

محمد يشعر أن لا أهمية له حتى بين أقرانه ممن غصت بهم قاعات الدرس والباحة... دليله على ذلك الاكتظاظ الكبير في الصف الواحد الذي يشبه يوم الحشر... هو يحلم كما أطفال العالم كله بالقراءة والكتابة والجلوس على مقعد خشبي، وذلك من أبسط حقوقه كطفل يعيش على هذا الكوكب، الذي طالما تشدق الكبار فيه بحقوق الطفل، وأقاموا المؤتمرات والندوات وحلقات النقاش، وتبنت المنظمات الدولية شعارات حمايته.

قالها محمد بصوت عال، وهو يقود مظاهرة أطفال: لماذا يفعل الاحتلال الصهيوني بنا كل هذا؟ لماذا لا أجد نفسي إلا على رصيف مدرستي لا في قاعاتها وباحتها؟ هل لأن الاحتلال أراد تحويلها إلى ثكنة عسكرية يقتنص من خلالها طفولتي ويقتل أمان أسرتي وجيراني وشعبي المعذب المههور.

بالأمس أعلمتني معلمتي عندما سألتها لماذا نحن هنا؟ ولماذا لا أحمل حقيبة مدرسية مزركشة على ظهري كأطفال العالم لأذهب بها كل صباح إلى المدرسة؟ ولماذا أعود إلى غرفتي المظلمة التي طالما عشت على نور شمعتها، تماماً كأطفال غزة بعد أن قطع الاحتلال عنا نور الكهرباء والأمل بالعيش الكريم.

حقيقة لم أفهم قولها وهي تشرح عن سوء حال التعليم في القدس المحتلة والذي يشهد تراجعاً مخيفاً في ظل عمليات الاستيطان وطرد السكان من منازلهم لتهويد المدينة المقدسة.

الاحتلال يا بني لم يكتف بالسعي لاقتلاع الوجود الفلسطيني ومحو هوية أبنائه والعبث بذاكرتهم، وإنما يسعى أيضاً لتهويد التعليم عندما افتتح مشروع "سخنين" بست مدارس لتعليم المناهج الإسرائيلية... يا بني، نحن نواجه في القدس المحتلة خطر نشوء جيل كامل لم يتمكن من الالتحاق بالمدارس، فقد بلغ التسرب حسب دراسات كثيرة حداً يقدره البعض بأكثر من ٢٠٪ في المراحل المتوسطة، وهؤلاء يغرقون في أوضاع غير صحية ولا إنسانية، وهم يشكلون جزءاً كبيراً من أبنائنا الذين سيكبرون وسيعرفون ماذا فعل الاحتلال بهم، وكيف جعل تعليمهم ينهار وأحلامهم تنهار معه، وترك أكثر من عشرة آلاف تلميذ خارج إطار التعليم وأكثر من ١٥٨ مدرسة في القدس وحدها تعيش واقعاً مأساوياً خطيراً.

من أجل هذا يا بني أنتم ونحن هنا، نهتف وتعلو أصواتنا في شوارع القدس ضد تهويدها، وليسمع العالم صوت أطفالها، علّه يجد صداه في آذان من يعينهم أن يعيش الطفل في أمان، فيتترجمون كلامهم وشعاراتهم إلى واقع يعيش فيه الطفل الفلسطيني كما أطفال الأرض كلهم...!

أنا محمد ابن غزة والقدس ويافا وحيفا وكل فلسطين، طفل صغير يهذي، يحلم ويتمنى أن يزول الاحتلال وأثاره التي حرمت الطفل الفلسطيني من الكتاب والمقعد الخشبي والحقيبة والمدرسة بعد أن حرمته من ألف باء حقوقه، حتى حقه في الحياة.

هذيان طفل عاقل

فاديا جبريل